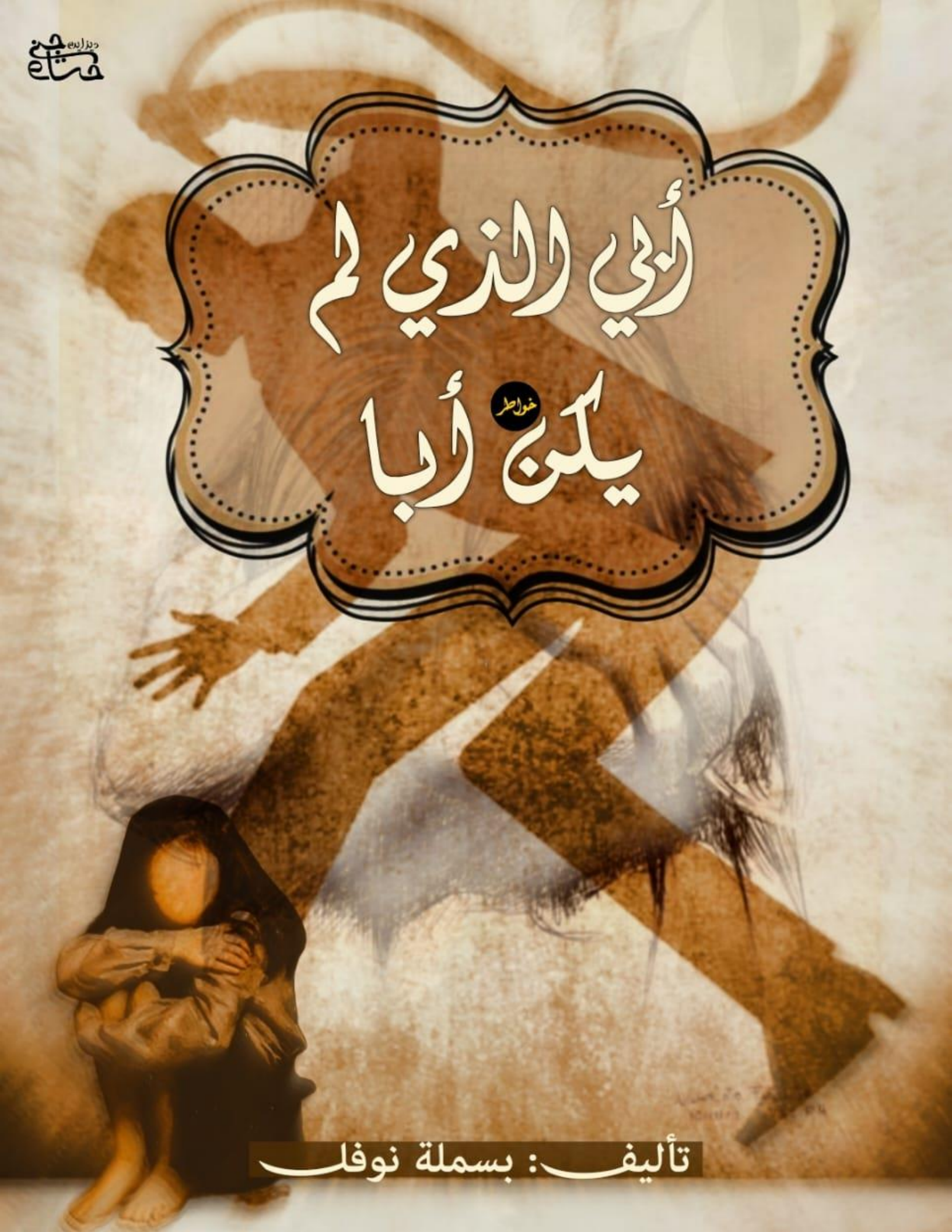
أبي الذي لم يكن أبا
خواطر
تأليف: بسملة نوفل

اسم الكتاب: أبي الذي لم يكن أبًا

المؤلف: الكاتبة والمهندسة: بَسمَلة نُوفَل

الدار: ياقوت للنشر والتوزيع الإلكتروني

النوع: خواطر

مدققة الكتاب: داليا محمد

تنسيق: ضياء الشاذلي

للأسف، في الحياة نتعلّم كل شيء وحدنا، إلا القسوة، فهي الدرس الذي يفرضه علينا الآخرون

سأخذك معي في رحلةٍ عن قسوة الآباء، عن تلك الوجوه التي منحتنا الحياة، ثم سلبتنا دِفئها

رحلةٍ بين الذكرى والخذلان، بين الصمت الذي يختبئ فيه الطفل الجريح، والندم الذي يسكن قلبًا لم يعرف الحنان يومًا

هذا الكتاب ليس صرخة غضب، بل اعترافًا طويلًا متأخرًا، ومصالحةً مع وجعٍ حاولت أن أهرب منه كثيرًا.

أبي الذي لم يكن أبًا" ليست حكاية واحدة، بل هي حكايات كثيرة " تشبهنا جميعًا، نحن الذين كبِرنا قبل أواننا لأن أحدهم لم يكن كما تمنّينا.

" رسائل شكر"

شكر خاص إلى أمي: المهندسة_ أمل نوفل

إليكِ يا من كنتِ الحاضن الأول لحلمي، والنور الذي أنار طريقي حين أظلمت الأيام

كل نجاحٍ وصلتُ إليه توفيق من الله ثم دعائك، وكل خطوةٍ قطعتها كانت بقوة حبك وإيمانك بي

علّمتِيني أن لا أستسلم، وأن النهوض بعد السقوط هو بداية الطريق لا نهايته

فشكرًا لكِ يا أمي، على وجودك الذي هو أعظم نعم الحياة.

شكر خاص إلى

الدكتور: أحمد إيهاب

لولا دعمك وإيمانك بي، لما بلغت ما أنا عليه اليوم

شكرًا لك على كل لحظةٍ كنتُ فيها على وشك السقوط، فكنتَ أنت السند الذي أعانني على النهوض، وعلى كل كلمةٍ منحتني الطمأنينة، وكل مرةٍ قلتَ لي فيها: "أنا اثق بمجهودك"، كنتَ تبعث فيّ قوةً جديدةً وإصرارًا أعمق

وجودك لم يكن دعمًا فحسب، بل كان أثرًا جميلًا باقٍ في روحي.

وشكر خاص إلي:

الكاتبة داليا محمد

على كل ما فعلته لأجلي، وعلى وجودها الذي كان نورًا في أوقاتٍ خيّم فيها السواد على نظري

كل مرةٍ شعرتُ فيها بأن الحياة قد أغلقت أبوابها، كانت هي التي تفتح لي نافذةً صغيرةً نحو الضوء

شكرًا لكِ من القلب، على دعمٍ لم يكن بالكلمات فقط، بل بالروح والصدق والمحبة.

"مقدمة"

سأخذك معي في رحلةٍ ليست سهلة، رحلةٍ تمتد بين وجع الطفولة وصمت الذاكرة، عن أولئك الذين حملوا لقب "أب" ولم يحملوا معناه

في هذا الكتاب، لن تجد الحكايات مغلفة بالحنان، بل ستجد الحقيقة كما هي: قسوةٌ تتخفّى خلف واجب، وبرودٌ يرتدي قناع المسؤولية

سأحدّثك عن الوجع الصامت، عن طفلٍ كان يطلب الحُبّ فيُعاقَب، وعن قلبٍ تعلّم أن يشتدّ بدل أن ينكسر

هذه الصفحات ليست انتقامًا، بل محاولةُ فهمٍ... محاولةُ شفاءٍ متأخّرة من أثر أبٍ لم يكن يومًا أبًا

فخذ بيدي، وكن رفيقي في هذه الرحلة إلى عمق الألم، حيث يولد الإدراك من الرماد

الفصل الاول "عدم الأمان"

ماذا أقول عن أبي؟

هو ذلك الشخص الذي تعجز الكلمات عن وصف جرحه في قلبي، وتعجز الحروف عن التعبير عن عمق الأذى الذي تركه داخلي

هو من أذاقني مرارة الألم قطرةً قطرة، ولم يكتفِ بل زادني وجعًا كلما ظننت أنني تعافيت

أبي لم يكن الحضن الذي يحميني كلما قست الايام علي قلبي، ولا الكتف الذي يُسندني كان السبب في أن أتذوق مرارة الحياة قبل أوانها، وكأنني وُلدت لأحمل جراحه بدلًا من أن أحمل اسمه فقط.

رأيت الأطفال يتشبثون بأصابع آبائهم كمن وجد الحياة، حين كنت تمر بي كأنك لا تراني، لهم صدور دافئة، تُفتح لهم كلما ارتجفوا، تُسدل فوق رؤوسهم كفوف الطمأنينة، وحينما كنت ارتجف أنا، لم تمد حتى ظلالك على رأسي

أقف مبتورة القلب؛ كطفلة ضلّت الطريق بعد انطفاء الضوء، تتحسس طريق العودة في العتمة، ولا أحد ينادي باسمها.

رأيتُ مشهدًا، أكادُ أجزِم أن قلبي بُتِر من شدّة الموقف كانت هناك طفلة صغيرة تلعب الكرة مع والدها، يُقبّلها من حينٍ إلى آخر، ويضحك معها، ويحملها كأنّها كنز

صوت الضحكات كان يعلو، وكان قلبي يهبط

تمنّيتُ لو يعود بي الزمن، تمنّيتُ لو كنتُ أنا تلك الطفلة لكن، ماذا نفعل مع الآباء القاسين؟

يا قلبي، أخبرني، كيف نُشفى من حُبٍّ لم نتلقَّه يومًا

من الذين كان من المفترض أن يمنحوه لنا أوّلًا؟

كنتَ أول وجع عرفه قلبي، وأول خيانة كسرتني وأنا أبحث عن حضن يحفظني

لم تكن حصني، بل كنتَ الخراب الذي تركني بلا مأوى

أنتَ من جعلني أتذوق العذاب حتى صار جزءًا من دمي، أي أبٍ يقتل ابنته وهي حيّة؟ أي قلبٍ هذا الذي يزرع الرعب في عيون طفلته بدل أن يزرع الطمأنينة؟

جرحتني بعمقٍ لا يراه أحد، وجعلتني أخاف من الحب لأنك شوهت معناه داخلي

.أبي، لم أعد أبحث عنك، لم أعد أشتاقك، صرتَ في حياتي كجدار أسود لا ينكسر ولا يُضيء، فقط يقف بيني وبين النور

جعلتني أبحث عن الحنان والرحمة في وجودك،

كأنّي أرجو المطر من صحراءٍ قاحلة، وأنتظر الدفء من حجرٍ بارد

كنتَ أقرب الناس إليّ، وأكثرهم بُعدًا عن قلبي

تعلّمتُ أن الصمت هو لغتك، وأن الحنان في عينيك حلمٌ لا يتحقّق

وكلّما حاولتُ أن أقترب منك، ازددتَ غلظةً، كأنّ بيني وبينك جدارًا من جليد لا يذوب.

لم أكن أريد منك الكثير، فقط نظرةً تحمل شيئًا من الرحمة، كلمةً تقول لي إنني لستُ عبئًا عليك، لكنّك لم تفعل، وتركتني أبحث عن الحنان فيك، حتى صدّق قلبي أن الحنان لا يُخلق في بعض القلوب.

الفصل الثاني لغة السوط"الحزام"

السوط: لم يصنع من جلدٍ، بل من قسوة

كان يمتدّ من يده إلى قلبي، يُقسم بيني وبين الأمان، حتى صرتُ أرتعب من أي يدٍ تُرفع، ولو كانت للسلام.

كنتُ أرتجف، ويرتجف جسدي كلما وقع بصري على السوط حتى في الطرقات

لم يكن مجرّد أداةٍ من جلد، بل كان شبحًا يطاردني حيثما ذهبت

كنتُ أراه فأعود طفلةً مذعورة، أسمع داخلي صدى صوته وهو يهوى، وأشعر بلسعته قبل أن تلامس جلدي

أبي، لقد جعلتَ من السوط رمزًا للرعب، لعنةً أبدية تسكنني، حتى بات كلُّ صوت ارتطامٍ يعيدني إلى لحظة الانكسار الأولى

لقد سرقتَ من قلبي الاطمئنان، وزرعتَ مكانه خوفًا يتنفس معي ولا يفارقني.

كنتُ أرتجف، ويرتجف جسدي كلما وقع بصري على السوط، حتى وإن كان في أيدي الغرباء في الطرقات.

آثارُ السوط؛ نعم، مضت الأيّام، وتلاشت ندوبُ الجسد، غير أنّ أثرها ما زال عالقًا في قلبي

كلُّ ضربةٍ منك كانت جرحًا غائرًا في روحي، جرحًا لم يلتئم رغم مرور العمر

لقد كنتَ ـ يا أبي ـ سببَ خوفي، وعلّةَ ضعفي، وسرَّ ارتجاف قلبي كلما ارتفع صوتُ رجلٍ أو قسا نظرُه

كلماتُك الجارحة لم تكن يومًا عابرة، بل كانت سهامًا غرستها في داخلي حتى صرتُ أسمع صداها كلّما هممتُ أن أطمئن

نعم، اندملت آثار الجسد، لكنّك تركتني أنزف في صمتٍ، تركتني أبتسم للعالم وقلبي مثقلٌ بالوجع

أبي، أيّ أبٍ هذا الذي يُطفئ ضحكة ابنته بيديه؟ أيُّ أبٍ يُعلّمها أن الأمان وهم، وأن الحبَّ سراب؟

أتذكر صوت رنة السوط جيدًا

كان صوته كجرس إنذار يوقظ في داخلي الرعب قبل أن يلامس جلدي

كنت أرتجف لمجرد سماعه، وكأن العالم يتوقف لثوانٍ بانتظار الألم الذي سيأتي

ذلك الصوت لم يكن مجرد معدنٍ يصطدم، بل كان إعلانًا عن جولة جديدة من الانكسار

كبرتُ وأنا أحمل خوفًا من كل ضجيج يشبهه، وكل ارتطام يعيدني إلى نفس اللحظة، نفس الألم، نفس الارتعاش

أبي، تركتَ في داخلي ذاكرة مشوهة، ذاكرة لا تُمحى، مليئة بأصواتٍ وجروحٍ ترفض أن تصمت.

كم مرةً أقسمتُ أن أنسى صوته، لكنّ الذاكرة لا تُطيع القلب؛ فصوت السوط يسكن في الأعصاب، لا في الذاكرة وحدها.

صوت السوط لا يشيخ

يمرّ في ذاكرتي كريحٍ حادّة، تُعيدني طفلةً أرتجف خلف الجدار، أُحصي أنفاسي وأتمنى لو أن الأرض تبتلعني.

كلما رأيتُ السوط، شعرتُ وكأنّ الألم لم يغادر جسدي قط؛ وكأنّ الضرب ما زال يتردّد في عظامي، رغم مرور السنين

لم تكن الضربة تنتهي حين تسكن اليد، كانت تبقى في الذاكرة، في نبض القلب، في ارتجاف الصوت كلما ارتفع من حولي صوتٌ يشبهه

صار السوط علامةً لا تُرى، تسكنني أينما ذهبت،

يذكّرني بأنّ الجسد قد يشفى، لكنّ الروح لا تلتئم بسهولة.

كرهتُ اسمي، كلّما كان ينادِيني به، كنتُ أعلم أن خلف النداء وجعًا ينتظرني

لم يكن اسمي يعني الحب أو القرب، بل كان إعلانًا عن العقاب القادم

كنتُ أسمعه فيرتجف قلبي، وكأنّ الحروف نفسها تحوّلت إلى سياطٍ خفيّة تضربني قبل أن يلمسني شيء

حتى حين تناديني أمّي به برفق، كنتُ أشعر بالخوف أولاً، ثم أستعيد أن صوتها ليس صوته، وأن النداء هذه المرّة لا يحمل ألمًا

لقد شوّه أبي اسمي، وجعل من كلّ حروفه وجعًا لا يُنسى.

الفصل الثالث "أثر الكلمات"

انكسر شيءٌ في داخلي صغيرًا، ولم يلتئم حتى اليوم، لم يكن وجعي في اللحظة ذاتها، بل في كلماتك التي سقطت عليّ كالصاعقة

تعلّمتُ مبكرًا أن الصمت لا يحميني، وأن الدموع لا تُطفئ قسوتك

ومنذ تلك اللحظة، لم يعد قلبي يعرف الأمان بل صار يعيش غربةً لا تنتهي .

أبي

أتذكر كلماتك دائمًا، تلك الكلمات التي كانت تهوي عليّ كالصاعقة، تبعثر روحي وتترك داخلي رمادًا

كل جملة منك كانت خنجرًا يطعن قلبي، وكل حرفٍ كان يطفئ في داخلي شمعة أمل صغيرة

لم تكن كلماتك نصيحة، بل كانت لعنةً تُلاحقني حتى في صمتي، أصواتها لا تفارق رأسي، كأنها قيودٌ تربطني بجراحك.

ليس كلُّ السوطِ جلدًا يُوجِع الجسد

بعضُ السياطِ كلماتٌ، وبعضُها نظرات، وبعضُها صمتٌ طويلٌ يُجلد به القلب حتى يخمد صوته

كان السوطُ لغتهُ المفضّلة، لغةً لا تحتاج إلى مفردات، ولا تعرف الرحمة

كنتُ أفهمها دون ترجمة أفهمها برجفةٍ في صدري، وبدمعةٍ تتسرّب قبل أن تولد، كلّ ضربةٍ كانت جملةً ناقصة، وكلّ وجعٍ كان فاصلةً في حديثٍ لا ينتهي

حتى صرتُ أقرأ العالم من خلال الوجع، وأصغي للأشياء بخوفٍ من أن تنطق بما لا يُحتمل.

لم أكن طفلةً سوى بضحكتي، لكنني كبرتُ سريعًا في حضرة الخوف

كلماتك يا أبي كانت سياجًا من نار، تحاصرني كلما حاولتُ أن أتنفس

تعلّمتُ أن أختبئ خلف صمتي، وأن أبتلع دموعي قبل أن يراها أحد

ومنذ ذلك الحين، لم يعد قلبي يعرف الطمأنينة، بل صار يرتجف كلما سمعتُ صوتك يتردد في ذاكرتي.

...قلتَ لي: "أكرهك" في وجهي كثيرًا

لماذا يا أبي؟

كنتُ أبحث عن حبّك، فإذا بكَ تصفعني ببغضٍ لا يليق أن يخرج من فم أبٍ لابنته

أتعلم ما الذي فعلته بي؟ لقد جعلتني أشكّ في نفسي، جعلتني أرى عيوبي في مرآتك، وأحمل وزرًا لم أقترفه

أبي، كلمةٌ منك كانت كافيةً لتُعيد بناء عالمي، لكنك اخترت أن تهدمه بكلمةٍ أقسى من الضرب، كلمةٍ حفرت في قلبي حفرةً لم يردمها الزمن.

جعلتني أكره الرجال، حقًا لم أعد أراهم سوى صورةً منك

لا أثق بهم، أخاف من اقترابهم، كأنهم جميعًا يحملون قسوتك، جميعهم امتداد لصوتك ويدك الثقيلة

أبي، أتذكر كلماتك السيئة، التي ما زالت تصرخ في أذني حتى الآن، كلماتك التي لم تكن عابرة بل حفرت جروحًا لا يراها أحد

وأتذكر ضربك القاسي، كنتَ لا تكتفي بالألم الجسدي، بل كنتَ تحرص أن تكسر شيئًا أعمق: روحي

كسرتَ براءتي، سرقتَ طفولتي، وتركتني أعيش مع الخوف كرفيقٍ أبدي

الفصل الرابع "الأمنية الاخيرة"

أبي، كنت أحتاج إلى كلمة حنان واحدة، فملأتني بقسوة لا يطيقها قلب طفل

كبرتُ على أوجاعك، وصرتُ أحمل داخلي ندوبًا من كلماتك أكثر من ضرباتك؛ لأن الجرح الذي يصنعه اللسان لا يشفى أبدًا.

أبي، لماذا أنتَ هكذا قاسي الطبع، جافُّ المشاعر تجاهي؟

هل سبق لك أن منحتني نظرةَ حنانٍ واحدة؟

هل خطر ببالك أن قلب ابنتك كان يتفتّت تحت وطأة صمتك وغلظتك؟

كنتُ أحتاج إلى كلمةٍ تشبه العناق، فإذا بي أغرق في بحرٍ من القسوة لا قرار له.

كنتُ أريد شيئًا واحدًا فقط،

حضنك يا أبي

لم أطلب مالًا، ولا فخرًا، ولا كلماتٍ منمّقة،

.كنتُ أريد ذراعَك حولي، لأشعر أنني ابنتك حقًّا، لا غريبة في بيتك

لماذا فعلتَ بي كلّ هذا؟

لماذا اخترتَ أن تزرع الخوف بدل الحنان،

وأن تتركني أواجه العالم بطفولةٍ مكسورة؟

كنتَ تستطيع أن تُحبّني، أن تقول كلمةً واحدة تغيّر كل شيء،

لكنّك فضّلت الصمت، وتركتني أبحث عن دفءٍ يشبهك في كلّ من لا يشبهك أبدًا.

الفصل الخامس"النهاية"

حتى عندما غادرتُ منزلي، ظلَّ كلُّ شيءٍ يذكّرني بك

لم تكن الذكرى في الجدران ولا في الأثاث؛ بل كانت في قلبي وجسدي معًا، كنتَ تسكنني كما يسكن الوجعُ الجرح، حاضرًا رغم الغياب،

ثقيلاً رغم المسافة، كأنّي حملتُك معي دون أن أريد،

كأنّ الخلاص منك ليس في الرحيل؛

بل في نسيان ما زرعتَه داخلي وذلك ما لم أستطع يومًا أن أفعله.

كانت أمّي منبع حُب وعاطفةٍ

كلما ضاق صدري من قسوتك يا أبي، لجأتُ إليها فأجد دفئًا يطفئ نار جرحي التي تسببت أنت بها

كان كفُّها بلسمًا على ندوب قلبي، وعيناها حضنًا أعوض به غيابك

أمّي، هي من علّمتني أن الحنان لا يُشترى، وأن الرحمة قد تسكن قلبًا واحدًا فتنقذ روحًا بأكملها.

لو بينك وبين ذنبي الجنة يا أبي، فأنا التي لن تغفر لك

ليس قسوةً، ولكن لأن الخذلان منك كان أثقل من الغفران..

تمت.

أبي الذي لم يكن أبًا

"خواطر"

بسملة نوفل

مهندسة تصميم داخلي ودبلكور،

صاحبة مؤسسة

"Nofaldesign"

لتصميم الجرافيك.

كاتبة روائية في علم النفس الفسيولجي منذ 3 سنوات، صاحبة رواية جحيم المصحات، تكتب الخواطر والمقالات أيضا، مقدمة محاضرات لدى مبادرة بحر، مصممة جرافيك، حاصلة على بعض الكورسات في علم النفس، التدقيق اللغوي، المارکتينج، الاضطرابات النفسية، كتابة الخواطر، وأدارة الوقت، وال softskills